الفصل الرابع

مفاهيم قرآنية ضرورية للطفل

سنحاول ـ بعون الله وتوفيقه ـ في الصفحات التالية أن نوردَ بعضاً من الدروس القرآنية؛ التي تربي الطفل على مختلف الأصعدة؛ العقلية والفكرية والاجتماعية. . . وذلك لتكوين الشخصية السوية للطفل، فيكون مستقيماً مع خالقه في مجال العبادات المفروضة، وتنفيذ ما أمر اللهُ تعالى به، واجتناب ما نهى عنه. وعلى الوالدين الأخذ بتلك المفاهيم، وتعزيزها في فكر الطفل.

فالعبادات تربط الإنسانَ بالخالق العظيم، وتُوقِظ فيه شعورَ المسؤولية، وتذكِّره بفضل الله، وضرورة شكره وحَمْده على ما أنعم به، فيقوم بالعبادة، وينال الثواب. قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

ومن استقام مع خالقه، لا بُدَّ أن يكون مستقيماً مع ذاته، إذ يعودُ إلى الفطرة السليمة الخيِّرة، فالإنسان مسؤول عن نفسه أمام الله سُبحانه، وسيُحاسبه على جميع ما يصدر عنه من تصرُّفات.

وينطلق المرءُ بالاستقامة إلى المجتمع، فيترجم قيمه الصالحة، وأخلاقه الحميدة إلى سلوكٍ اجتماعي ينساح عبر جنبات الواقع، وهو يُحدِّد ما وصل إليه كل إنسان من صِدْق العلاقة مع ربِّه، فالسلوك تقويم

للإنسان ، وتحديد لمنطلقاته. ومن تلك الاستقامة مع الناس قول الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال سُبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهذه الاستقامة لها أسسٌ ومنطلقات تقوم عليها ، فإذا تمَّت تلك الأسس ، واستوى سوقها ، فإن النتيجة تتركز في بناء شخصية متزنة للطفل. وأهم تلك الأسس:

أ ـ التفكير العلمي الموضوعي.

ب ـ تأمُّل مظاهر الكون الدالة على قدرة الله وصفاته.

ج ـ القواعد الأخلاقية والسلوكية.

أ ـ التفكير العلمي الموضوعي[1]:

يشعُّ القرآنُ الكريم بالتفكير العلمي باعتباره نشاطاً يستهدف حلَّ المشكلات ، فهو غير تلقائي ، إذ يدرس الإنسانُ الظاهرة ، ويفهم أبعادها وحقائقها ، من أجل تفسيرها ، واستنباط القوانين التي تحكمها.

والتفكير العلمي كذلك هو نشاط منظَّم ، حيث يتمُّ دراسة الظاهرة ، ومن ثم يقوم الاستنباط العقلي بدوره لاستخلاص النتائج المحدَّدة.

كما أنه يتَّصف بالدقة والضبط ، والبحث عن الأسباب ، وضرورة الاستفادة من خبرات السابقين؛ وصولاً إلى الكمال ما أمكن. وأشار القرآنُ الكريمُ إلى ذلك فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي؛ للدكتور عبد الكريم بكار (٤١).

فَمَنْ عرف بداية الخَلْق أدرك بدايته ، ووعى أسباب نشأته ، وعَرَف من خلال قصص الأنبياء مسارات الهداية ، وجزاء المؤمنين وعاقبة الكافرين ، وهنا يأمرنا القرآنُ بضرورة الاعتبار ، قال عز وجل: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

كما أن التفكير العلمي يقود إلى اليقين المرتكز على الأدلة المنطقية المقنِعة ، ومن هنا نقول: إن الارتباط بين اليقين وبين البراهين هو ارتباط أبدي لا تنفصم عُراه. وإن ألدَّ أعداء التفكير العلمي يتمثَّل في الظن والهوى ، وقد أشار القرآنُ إلى ذلك ، فقال عز وجل: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]. وقال سُبحانه: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

ولا بُدَّ من القول بأنَّ الموضوعية أهم سمة للتفكير العلمي ، وقد بنىٰ القرآنُ الموضوعية من خلال أنشطة الأنبياء في تبليغ الرسالات ، وتحدَّث عن الحوارات التي تمت بين كل نبيٍّ وقومه ، فبنى التفكير الموضوعي لدى المسلم بناءً سليماً هادياً. ولابأس بعرض بعض النماذج القرآنية ليكون المربِّي والمتعلِّم على اطلاع على موضوعية القرآن وتفكير الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل ، وبالتالي يتربَّى التفكير الموضوعي ، ويستقيم المسار.

❊ معرفة حدود الذات:

يخبرنا القرآنُ الكريم عن النبي نوح ـ عليه السلام ـ عندما سأل اللهَ تعالى نجاة ابنه من الغرق ، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وجاء الرَّد بتوضيح الحقيقة ، فالأهلُ ـ في دين الله وميزان الحق ـ ليسوا قرابة الدم ، إنَّما هم قرابة العقيدة ، وهذا الولد نأى عن الإيمان ، فهو ليس

من أهل النبي المؤمن ، فقال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

ويُنيب النبي نوح إلى ربه ، ويخشع للتنبيه الرباني ، فيعوذ بخالقه ، ويطلب غفرانه ورحمته ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

وهذه الآيات تعليم لأن يعرف كلٌّ حدودَ ذاته ، وقَدْر نفسه ، فإذا ما أخطأ ، أو قصَّر ؛ فإن طريق التوبة مفتوح على مصراعيه.

* التَّثبُّت:

ركَّز القرآنُ الكريم على هذا الجانب؛ كيلا يقع المسلم في الأخطاء نتيجة الفهم القاصر ، وهاهم أهلُ الكهف يوضِّحون أن قومهم قادهم منهجهم الخاطىء إلى اتباع ما لا دليلَ عليه ، ولا برهان له. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥].

وعندما كان النبي يوسف عليه السلام في السجن؛ كشف عن فساد اعتقاد صاحبَيْه هناك ، واعتقاد قومهما ، فهم يعبدون أرباباً ليس لها من حقيقة الربوبية شيء ، لكن أولئك العابدين أعطوها صفات المعبود ، ومنحوها خصائصه دون برهان بيِّن ، أو سلطان مُقْنِع ، فقال النبي يوسف: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

* نَبْذ الآبائية المعطِّلة للعقل:

ضَرَب النبيُّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ أروع الأمثلة في موالاة الله تعالى ، والانسلاخ عن ضلال مجتمعه ، وتخلُّص من تقديس أقوال الأقدمين؛ من الآباء والأجداد ، فالعقيدة هي العروة الوثقى التي تربط العلاقات ، وتشدّ الأواصر ، فإذا تفتتت تلك الوشائج فلا لقاء في نسبٍ أو صهرٍ أو

قوم أو أرض. . . وها هو النبيُّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ يتبرأ من أبيه بعد تأكُّده من إشراكه. قال عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

❊ نَـقْد الذات:

إنَّ نَـقْد الذات قمة الموضوعية، فهو إقرار بالقصور والخطأ، واعتراف بالمخالفـة من أجل التغيير نحو الأحسن، ويترافـق هذا النقد مع صحوة العقل والضمير، فهو أمارة على النضج والرقي. وقد سنَّ النبيُّ آدم وحواء فكرة نَقْد الذات، عندما خالفا ربَّهما فأكلا من الشجرة، وسرعان ما أنابا قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أمَّا النبي يونـس ـ عليه السلام ـ فقد أرسله الله تعالى إلى قريةٍ، فدعا أهلهـا إلى الإيمان بالله ووحدانيتـه، فأبـوا أن يؤمنـوا ويقـرّوا، فضاق صدره بـهم ذرعـاً، وغـادرهم مغاضباً لهم، فلم يصبر على المعاناة، وذهب إلى شاطىء البحر، وركب سفينةً، والتقمه الحوت، وعانى من الظلمات: ظلمة جوف الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، فانطلق لسانـهُ بكماتٍ ضارعة، ملؤها الاعتراف بالذنب، والثناء على الله تعالى. قال عز وجل: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وعندما يؤكِّد القرآنُ الكريم على ضرورة سلوك الإنسان لجادّة الموضوعية ودروب التفكير العلمي؛ فإنه يُبيِّن أنها طريق الأنبياء والمرسلين، وهي جزء لا يتجزأ من تفكير المسلم، وهو يدعو إلى الله تعالى وَفْق مرجعية قرآنية تدعو إلى تجذير نشاطها من خلال تفكير منطقي سار خيارُ الناس على شاطئه حتى وصلوا إلى بَـرِّ النجاة.

ويقوم المربِّي بتعليم الطفل أسلوب التفكير العلمي من خلال آيات القرآن الكريم ، ويختار له النصوص التي تتحدَّث ، وتُناقش موضوعات التوحيد والعقيدة بطريقةٍ تشحذ التفكير؛ للانطلاق نحو التصديق ، وبذلك يكون قد غَرَس في أذهان الأطفال أسلوبَ التفكير العلمي المناسب[1] .

وسنقف عند نصّ قرآني من سورة الشعراء .

*** النص القرآني :**

قال الله عز وجل : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٧٧] .

*** معاني المفردات والتراكيب[2] :**

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ : نبَّه المشركين على فرط جهلهم؛ إذ رغبوا عن اعتقاد النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ ودينه . والنبأ : الخبر . أي : اقصصْ عليهم يا محمد خبَره ، وحديثه ، وعيبه على قومه ما يعبدون . وإنما قال ذلك مُلْزِماً لهم الحجَّة .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ : أي : أيّ شيء تعبدون .

﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ : أي : فنقيم على عبادتها . وليس المرادُ وقتاً معيناً ، بل هو إخبار عما هم فيه .

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ أي : هل يسمعون منكم ، أو : هل يسمعون دعاءكم .

﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ : أي : هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم ، أو

---

(١) أطفالنا والقرآن لحمود الحطاب (٢٩) .

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ١٠٩) .

تملك لكم خيراً أو ضراً إن عصيتم؟! وهذا استفهام لتقرير الحجة ، فإذا لم ينفعوكم ولم يضروكم ، فما معنى عبادتكم لها ؟!

﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ : نزعوا إلى التقليد من غير حُجَّة ولا دليل .

﴿ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ : الأولون .

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ : وَصَف الجماد بالعداوة ، بمعنى : أنهم عدوّ لي إن عبدتهم يوم القيامة .

﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ : أي : إلا مَنْ عَبَد رب العالمين . أو : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدون إلا رب العالمين فإنهم عدوّ لي .

* معنى الآيات[1] :

اتْلُ يا محمد ـ ﷺ ـ على كُفَّار مكة ، وعلى غيرهم ، نبأَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وخبَره المهم؛ ليعرف المشركون ـ خصوصاً أهل مكة ـ ما كان عليه أبوهم إبراهيم ، وكيف كانت مواقفه مع قومه وبخاصة أبيه ، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب .

واتْلُ عليهم نبأَ إبراهيم إذْ قال لأبيه وقومه : ما تعبدون؟ سألهم عن عبادتهم ، وهو بها أعرف؛ ليلفت نظرهم إلى ما يعبدون . قالوا : يا إبراهيم ، نعبد أصناماً ، فنظل لها عاكفين ، وعلى عبادتها مقيمين . قال إبراهيم مناقِشاً لهم : عجباً لكم ، هل يسمعون دعاءكم إذْ تدعون؟ وهل ينفعونكم في شيء أو يضرُّون؟! قالوا مجيبين له على سؤاله واعتراضه : بل وجدنا آباءنا لها عابدين . فيلفتُ إبراهيم نظرهم إلى هذه الأصنام؛ التي لا تسمع دعاءً ، ولا يكون منها نفع ولا ضرر مقصود ، يعني : ليس لهم حُجَّة أبداً في عبادتها وتقديسها ، وهم لا يرون لهم حُجَّة أبداً إلا التقليد الأعمى ، فيقولون :

---

(١) التفسير الواضح؛ لمحمد محمود حجازي ، الجزء (١٩) (ص ٥٤) .

حُجَّتنا أنَّا وجدنا آباءنا لها عابدين ، وأنَّا على آثارهم مقتدون. قال إبراهيم: أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون ، هل هم يستحقون العبادة أم لا؟ وهذا استهزاء منه بعبدة الأصنام. أخبروني عن حالهم إنْ كانت لهم قوة حتى أحتاط لنفسي؛ لأنهم أعداء لي ، لكن رب العالمين ليس كذلك ، بل هو وليي في الدنيا والآخرة.

ما ترشد إليه الآيات:

* غَرْس أسلوب التفكير المنطقي العلمي القائم على الإقناع.
* بيان طريق الأنبياء في التفكير المنطقي.
* توجيه شخصية الطفل إلى اتخاذ التفكير السليم قاعدة في الحياة.
* الهداية إلى تجنُّب التقليد الأعمى؛ حتى ولو كان من أقرب الناس.
* غَرْس روح الاستقلالية لاتخاذ القرار السليم؛ مع عدم الإساءة إلى الأشخاص الآخرين.
* التوجيه إلى أسلوب مناقشة الخصوم بالمنطق دون تعسُّف ، أو ضيق.

ويستطيع المربي أن يطَّلع على المثال التالي ، وهو درس في العقيدة ، موضوعه: الله واحد لا شريك له ، فيكون اطِّلاعُه هذا بمثابة مثالٍ تطبيقي يعزِّز التفكير الموضوعي عند المتعلِّم. ويجري الدرس وفق النقاط التالية[1]:

*** التمهيد:**

ويكون قصصياً ، بحيث يحكي المربِّي للأطفال قصة كالآتي:

كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يعبدون مع الله أصناماً ، يظنُّون أنها تُـقـرِّبهم إلى الله ، أو تنفعهم عند الخالق (وهنا يُصوِّر المربِّي المشركين وهم يسجدون للأصنام ، فيثير في نفوس الأطفال انفعالات الكره لهم ، والنفور منهم).

---

(١) الطرق الخاصة للتربية الإسلامية؛ لسليمان الخطيب ومحمد غسان طه (٧٦).

وقد نهاهم رسول الله ﷺ عن عبادة الأصنام ، والسجود لها ، والخوف منها ، فلم ينتهوا ، بل آذوه ، وعذَّبوا أصحابه الكرام؛ ليرجعوا إلى عبادة الأصنام.

تلا عليهم رسول الله ﷺ آيات القرآن (وهنا يبسط المربِّي معاني القرآن مستفيداً من عواطف المحبة لله ، والإعجاب ، والشكر ، وغيرها من عواطف الأطفال).

سألهم القرآن: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ [الملك: ٢١] فقالوا في أنفسهم: الله الذي يرزقنا ، ولا تستطيع الأصنام أن ترزقنا ، ولا أحد غير الله يرزقنا.

سألهم القرآن: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٦١]فأجابوا: الله الذي خلق السموات والأرض ، ولا أحد غير الله خلقنا وخلق الكائنات.

سألهم القرآن: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [النمل: ٦٤] فأجابوا: الله هو الذي يخلقنا في بطون أمهاتنا ، ويميتنا متى أراد ، ولا أحد غيره يحيي ويميت ، ثم يبعثنا أحياء بعد الموت.

سألهم القرآن: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل: ٦٠] فأجابوا: الله الذي يُنزل المطر ، ولا أحد غير الله ينزل المطر ، ويُنبت النبات.

اعترف الكفار بكل هذا في أنفسهم ، فسألهم القرآن: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] كيف تعبدون مع الله معبوداً آخر ، تسجدون له ، أو تُعظِّمونه ، أو تخشون بطشه كما تخشون الله؟!.

لم يُرِدِ الكفارُ أن يعترفوا بأن لا إله إلا الله؛ لأنهم متكبرون ، يُنكرون فَضْلَ الله ، ولا يريدون الاعتراف بالحق. وأسلم منهم جماعةٌ طيِّبون ، ثم انتشر الإسلام.

أمَّا نحنُ المسلمين فقد أسلمنا لله ربِّ العالمين ، فأطعنا كلَّ أوامره ،

ولا نعصي له أمراً ، وآمنَّا بأنه ليس معه إله غيره يستحقُّ العبادة؛ لأنه هو وحده رازقنا وخالقنا ، فلا نعبد غيره ، ولا نسجد لغيره ، ولا نطلب الرزق من غيره ، ولا نخشىٰ أحداً أن يميتنا أو يُمرضنا غيره ، ولا نطلب الشفاء من غيره ، ولا نجعل بيننا وبينه وساطة توصل عبادتنا إليه ، أو تُقرِّبنا إليه؛ لأنه ـ سُبحانه ـ قريب يرانا ، ويسمع دعاءنا من غير وساطة ، رحيم يحبُّنا ، ويستجيب لنا من دون حاجب.

❊ **العرض:**

ويكون استجوابياً ، حيث يكتب المربِّي في أثناء الدرس بعض الكلمات ، أو الجمل البسيطة ، ينتقيها من أجوبة الأطفال.

ماذا كان يفعل الناس في أول عهد رسول الله ﷺ؟

ماذا قال لهم الرسول ﷺ؟

بِمَ أجابوه؟ وماذا فعلوا معه ومع أصحابه؟

ماذا قرأ عليهم؟

ماذا سألهم القرآن؟

لاحظوا حولكم: كيف تنزل الأمطار؟ ماذا يُنبت الله من الأرض؟ من أين نأتي بطعامنا ورزقنا؟ إذاً فمن الذي يرزقنا الطعام؟ من الذي أنبت لنا القطن الذي اكتسينا بنسيجه؟ من الذي خلقنا؟ من الذي يميتنا؟.

❊ **الخلاصة:**

يأخذها المربيِّ من أفواه الأطفال ، ومفادها:

الله واحد لا شريك له في الخَلْق ، ولا خالق غيره.

الله واحد لا شريك له في الرزق ، ولا رازق غيره.

الله واحد لا شريك له في القدرة ، ولا منزل للمطر غيره.

الله وحده يستحق العبادة ، ولا شريك له في ذلك.

لا نسجد لأحدٍ ، ولا نعبد أحداً غير الله ، فنحن نطيعه ، ولا نعصيه من أجل أي مخلوق ، ولا نجعل أيَّ وساطة بيننا وبينه لإيصال عبادتنا ودعائنا إليه؛ لأنه سُبحانه قريب مجيب ، يرانا ويسمعنا.

ب ـ تأمُّل مظاهر الكون الدالة على قدرة الله وصفاته:

أطلق القرآنُ الكريم العقولَ من إسارها ، ودعاها إلى مزيدٍ من النظر الجادِّ ، والتفكير العميق ، وجعل لها الكون بأسره محراباً للتدبُّر الأمثل ، والاعتبار الذي لا يُحدُّ ، فمن تتبَّع بدائع صُنْع الله في السماء والأرض ، وَصَل إلى الإيمان بالخالق العظيم ، ورؤية ألق التصميم ، ودقة البناء ، ووحدة النظام الكوني ، وتتَّضح القدرة الربانية ، وتدعو للتمعن ، فهي وراء كل شيء من ظواهر الكون ومظاهره.

وهذه الدعوة القرآنية تنبيه للعقل ، وإيقاظ للقلب ، وتشجيع على القيام بالكشف والبحث والتنقيب.

ولا بُـدَّ من ربط التفكير بالحسّ والنظر والتجربة؛ لأنَّ الاعتماد على التفكير النظري المجرَّد يؤدي إلى الجدال والمراء فحسب ، ومن هنا ربط القرآنُ بين الفكر وبين آيات الله في نظام الكون ونواميسه وقوانينه ، وحذَّر من الانحراف عن هذا المنهج ، وطالب بالتفكر في أسباب فناء الأمم السابقة. قال عز وجل: ﴿ ۞أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١][1].

فالبعد عن منهج الله يؤدي إلى هلاك الأمم ، وتلاشي الحضارات ، ففي رَبْط الفكر الإنساني بالكون ، وخالقه ، ومصرِّف أموره ، نضع العقل في مساره الصحيح ، ونضمن له ألاَّ يزلّ ولا يضلّ ، ولا ينجرف ولا ينحرف ،

---

(١) ﴿وَاقٍ﴾: دافع يدفع عنهم العذاب.

ولا يتردىٰ في مهاوي المفاسد المؤدية إلى الدمار. قال عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨][1].

وهذا الكون بكل ما فيه يدلُّ على أن الخالق العظيم قدير في صنعه، حكيم في تقديره، عليم في إبداعه. ويُنبِّه القرآنُ الكريم إلى تأمُّل عظمة هذا الكون، وصغر الناس بالقياس إلى السموات والأرض، قال عز وجل: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

وكل شيء في الكون يُسبِّح بحمد الخالق، ويهتف بمجده الأعلى، فيطيع ولا يعصي، ويُقْبل ولا يُعْرِض، وهم خَلْق لا يحصيهم إلا الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

والتفكُّر في صفحات الكون يُوقِظ العقول، ويُبصِّرها من خلال تأمُّل الدلائل الكونية المبثوثة في كل شيء أوجده الخالقُ الخبير. فالآيات منتشرة، وحيثما رنا الإنسان ببصره وجدها تنطق بحكمة الله تعالى، فالسموات بأجرامها وأفلاكها، ودقة تناسقها، إلى جانب الأرض الواسعة، والفضاء الشاسع، كل ذلك يدلُّ على القدرة الإلهية التي تُنظِّم الكون.

ولكن من الذي يستشعر هذه الآيات، ويفكر في الصانع القدير؟ إنه المؤمن... فإذا خالط الإيمانُ القلوب استطاعت أن تلتقط ما في الكون من ذخائر وإيحاءات، وكلها ذات طابع مميز يشير إلى القدرة المبدعة، والإعجاز المتفوِّق في كل حركة ونأمة.

كما أن خَلْق الإنسان مثير للعجب، وداعٍ للتأمل، بتركيبه،

---

(١) ﴿ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾: طَغَت وتمرَّدتْ في أيام حياتها.

وخصائصه ، ودقائقه المدهشة ، بدءاً بالخلية الواحدة ، وانتهاءً بالعقل وتركيبه المعقَّد.

وحول الإنسان تنبثُّ خلائق أخرى ، تدبُّ على الأرض بمختلف الأنواع والأشكال والأحجام ، وكلّ منها معجز في خَلْقه ، وتبقى القدرة الإلهية هي الممسكة بكل حكمة وتقدير. إضافةً إلى اختلاف الليل والنهار ، حيث ينشأ هذا الاختلاف عن دورة الأرض حول محورها مرة أمام الشمس كل أربع وعشرين ساعة.

والرزق الذي ينزل من السماء لا يُحدُّ ، من المطر الهاطل ، وأشعة الشمس وحرارتها التي تُبخِّر الماء من موارده فيتكاثف لينزل أمطاراً ، ويجري عيوناً وأنهاراً ، فتحيا الأرض بإذن ربِّها.

وكل هذه الأشياء آيات معروضة في الكون الفسيح؛ لمن امتلك عقلاً ، وفكَّر من خلاله بأن الله خالق كل شيء ، ومُنظِّم الوجود ، وتلك الآيات توقِظ العقول ، وتلمس القلوب ، وتخاطب الفطرة بإيحاءاتها ودلالاتها الواضحة الثابتة. قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣ ـ ٦].

وإن الكون عميق الدلالة ، نفيس القيمة؛ لأنه يدلُّ على الخالق العظيم ، حيث انتظمت فيه قوانين محكمة ، تجلَّت عنها مظاهر القدرة ذات التقدير الدقيق. قال عز وجل: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

هذا ، وإن النصوص القرآنية التي تتحدَّث عن الظواهر الكونية كثيرة ومتعددة ، وهي تثير اهتمام الطفل ، وتُشْبع رغباته في حبِّ الاستطلاع ، وتجعله يتساءل في قرارة نفسه عن الأشياء التي يراها ، وقد ينشغلُ عنها لأنها

مظاهر معتادة ، ومن هنا تأتي مهمة المربّي لجذب الطفل نحو تلك الآيات الكونية ، وحثّه على التفكير فيها[1].

وسنقف عند نصٍّ قرآني من سورة يس؛ لنبيِّن معانيه ، ونستهدي بإرشاداته.

* النص القرآني:

قال عز وجل: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

معاني المفردات والتراكيب[2]:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾: أي: تدل على قدرتنا.

﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: نزيله عن مكانه ونكشفه. مستعار من: سَلْخ الجلد ، وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال. وفي الليل سكون الناس ، وهدوء الأصوات ، وفيه النوم كالموت ، ويكون بعده طلوع الشمس ، كالنفخ في الصور ، فيتحرك الناس.

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام فجأة.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: لحدٍّ معيَّن ينتهي إليها دورها وجريانها ، وهو يوم القيامة ، فشبّه بمستقر المسافر إذا قطع سيره.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الجري البديع ، المنطوي على الحِكَم الرائعة؛ التي تحار في فهمها العقول.

﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ أي: الغالب بقدرته على كل مقدور.

---

(١) أطفالنا والقرآن؛ لحمود حطاب (٣٤).

(٢) المقتطف من عيون التفاسير؛ لمصطفى الخيري المنصوري (٤/ ٣٤٧).

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ أي: المحيط علمه بكل معلوم.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾: قدَّرنا مسيره.

﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلةٍ في واحدٍ منها، لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها، فإذا كان في آخر منازله، يستتر ليلتين، أو ليلةً إذا نقص.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾: كالشمراخ المعوج. من الانعراج وهو الاعوجاج.

﴿ٱلْقَدِيمِ﴾: العتيق الذي قَدُم فيبس وتقوَّس واصفرَّ، فَشُبِّه القمرُ به في ذبوله، ونحوله، واصفراره.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾: لا يصحُّ لها، ولا يتسهَّل.

﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ في سرعة السير، فإنَّ ذلك يخلُّ بتكوُّن النباتات، وعيش الحيوانات، ولا أن تدركه في المكان بأن تنزل في منزله، فتطمس نوره.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: يسبقه فيفوته، ولكن يُعاقبه.

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: كلٌّ من الشمس والقمر يسيران بانبساطٍ وسهولة، وفْق نظام دقيق، وَضَعه العليم الحكيم.

معنى الآيات[1]:

هذا الليل وما فيه آية لهم لو كانوا يعقلون، فهذا الظلام الشامل بعد النور الساطع، وهذا السكون والهدوء بعد الجلبة والضجيج، وتلك الكواكب السَّيَّارة، والأفلاك الدوَّارة، كل ذلك آية على وجود الخبير البصير؛ الذي يُسيِّر العالم على وَفْق نظام محكم، دقيق، لا يختلُّ أبداً.

والليل آية عظيمة، حيث يسلخ الله منه النهار، ويزيل ضوءه عنه،

---

(١) التفسير الواضح؛ للدكتور محمد محمود حجازي، الجزء (٢٣) (ص ٥).

ويكشفه عن الليل فيبدو الليل بسكونه وظلامه كالشاة بعد السلخ ، فيدخل الناس في الظلام بغتة ، فيكون النومُ العميق ، والهدوء الشامل ، فسبحانه من قادر حكيم .

وآية لهم الشمس ، ذلك الكوكب النهاري الضخم ، تجري في فلكها لحدٍّ مؤقت ، مقدَّر ، تنتهي إليه ، ولا تتجاوزه أبداً ، فكأنها تجري لإدراكه ، حتى إذا ما انتهت إليه توقَّفت . والله وحده هو العالم إلى متى تجري ، ومتى تقف ، ذلك تقدير العزيز العليم .

والقمر قدَّر له ربُّكَ منازلَ يسير فيها ، فتراه يبدو صغيراً دقيقاً ، ثم يكبر فيصير هلالاً فبدراً ، ثم يعود يصغر شيئاً فشيئاً ؛ حتى يصير كالعرجون القديم في الرقة والانحناء والصغر . وهذه الكواكب السماوية بأبعادها وأجرامها ، وكثرة عددها ، وسرعة حركتها ، تجري في نظامٍ دقيق ، وعمل وترتيب لا عوج فيه ولا خلل ، فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل يسبق النهار فيفوته ، ولكن يعقبه ، ولكلٍّ مدة وزمن ونظام لا يعدوه ، وكلٌّ من النجوم والكواكب في فَلَكٍ خاصّ به يسبحون ويجرون ، وهذا من أعظم الآيات الدالة على وجود الله وقدرته .

*** ما ترشد إليه الآيات :**

* التنبيه على بعض مظاهر الكون ، والربط بين وجودها وفائدتها للإنسان ، مما يدعو إلى تعظيم الخالق .

* التعريف ببعض الحقائق العلمية عن بعض مظاهر الكون .

* إدراك أن الكون منظم لا يختلّ نظامه .

* الشعور بقدرة الله تعالى ، وعظمته ، ووجوب شكره على نعمائه .

وإليك ـ عزيزنا القارىء ـ فكرة عن نظرة الإسلام إلى الكون ، وهذه

النظرة تفيد المربّي ، وهو يدفعُ بالمتعلمين إلى تملّي مظاهر الكون ، وموقف الإنسان منها ، فنقول[1]:

تمتازُ نظرة الإسلام إلى الكون بأنها ليست نظرة عقلية محضة ، ولكنها تعمل على تحريك عواطف الإنسان ، وشعوره بعظمه الخالق ، وبصغر الإنسان أمامه وبضرورة الخضوع له ، كل ذلك إلى جانب البراهين العقلية القاطعة على وحدانية الله وألوهيته في هذا الكون وسائر الأكوان التي لا نراها.

(١) فالكون كله مخلوق لله ، خلقه لهدفٍ وغاية ، وما كان اللعبُ والعبث باعثاً على الخلق. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

ولهذه النظرة الإسلامية إلى الكون آثار تربوية ، منها:

ـ ارتباط المسلم بخالق الكون وبالهدف الأسمى من الحياة ، وهو عبادة الله.

ـ تربية الإنسان على الجدّية ، فالكون كله أُقيم على أساس الحق ، ووجد لهدف معين ، وإلى أجل مسمّى عند الله ، وليس العبث واللهو من شأنه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦ ـ ١٧].

وهذا يُعلّم الإنسان أن يبحث عن غاية كل ظاهرةٍ من ظواهر الكون ، وأن يبعد تفكيره عن اللهو والعبث والضياع ، وأن يكون تأمُّله لهذا الكون تأمُّلاً منطقياً علمياً. ولتحقيق هذا واستكماله لفت القرآنُ نَظَرَ المتأمل إلى أمرَيْن آخرين غير الجدّية والغائية ، سنراهما في الفقرتين التاليتين:

(٢) خضوع الكون لسنن سنَّها الله وَفْق أقدار قدَّرها الله. قال تعالى:

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها؛ لعبد الرحمن النحلاوي (٣٨).

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ١٩ ـ ٢١].

فجميع الأحياء التي على الأرض جَعَل اللهُ لها معايش مقدَّرة مقنَّنة، ما ينزلها إلا بقدر معلوم.

وقد علَّم اللهُ الإنسانَ الحسابَ بتكرار الليل والنهار، وتقدير الفصول الأربعة، والأشهر القمرية، فقال عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال سُبحانه: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ونجد من خلال الآيات أنَّ القرآن ربَّى عقل المسلم على مبدأين هما:

الأول: تكرار حوادث الكون حسب سُنَن سنَّها اللهُ له، وهو جل جلاله وحده يملك أن يُغيِّرها إذا شاء، وهذا المبدأ الذي بُنيت عليه اليوم جميع القوانين العلمية، وهو أساس التفكير العلمي؛ الذي به اكتشف الإنسانُ، واخترع كل مظاهر الحضارة.

والثاني: أن سُنَن هذا الكون، وجميع حوادثه، وظواهره، وكائناته، من أصغر ذرة إلى أكبر جِرْم قد خَلَقها الله وسيَّرها، أو أنزلها بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدَّى شيءٌ حدودَه فيختلّ توازنه، أو يخلّ بنظام غيره. وهذا المبدأ هو: إقامة الملاحظة العلمية على أساس القياس الكمي لا أساس الوصف الكيفي، وهو المبدأ الذي يربي العقل على الدقة؛ ليأخذ كل شيء بمقياس.

(٣) الكونُ مُسيَّر ومدبَّر دائماً بقدرة الله: فالخالق العظيم الذي رتَّب سُنن الكون بقي ـ ومازال ـ قائماً على تسييره، وتدبير أمره، قال عز وجل:

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم: ٢٥].

(٤) الكون كله قانت لله: وقد بيَّن تعالى ذلك بقوله: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦].

وإذا كانت كل الكائنات والجمادات تخضع لبارئها، وتشهد بعظمته وتنزيهه عن كل نقص، فأجدر بالإنسان العاقل المفكِّر أن يعترف لربه بالنعمة والفضل، ويستشعر عظمته، ويُسبِّح بحمده، ويُقدِّس له. وهذا من أهمِّ النتائج التربوية الناجمة عن عَرْض الإسلام للكون ولخصائصه.

(٥) كثير مما في الكون مُسخَّر للإنسان، زاخر بالنعم. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩].

وهذه الآيات، وكثير أمثالها، تُرقِّق قلبَ الإنسان، وتُربِّي عواطفه وانفعالاته على الخشوع لله، والشعور بفضله، وعنايته، ورحمته، وحلمه، وتدفعُ الإنسان إلى حَمْد الله، وشكره، وتسبيحه، وتوحيده.

وهي تُربِّي العقلَ على مبدأ عَمَليَّ، كان آخر ما اهتدى إليه الفكر الإنساني، وهو مبدأ التقنية، واستخدام القوانين العلمية وقوىٰ الكون لخدمة الإنسان.

ج ـ القواعد الأخلاقية والسلوكية:

يهدف الإسلامُ إلى غرس المفاهيم الخُلُقية في نفس الطفل، ويربط ذلك بالإيمان بالله تعالى، فالمتمسِّكُ بالخُلُق القويم يحقق واجباً دينياً مهماً، أما

التفريط بالتزام الجانب الخُلُقي فيعتبر مرتكبه آثِماً ، وبعيداً عن الدين.

والعبادات لها نتائج وحِكَم ، فالصَّلاةُ تُبْعِد المصلي عن الرذائل ، وتطهِّره من فحش القول وسوء العمل ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ونصَّ القرآنُ الكريم على أن الغاية من الزكاة هي تنظيف النفس من أدران النقص ، وتنمية للحسنات والأموال ، وتسامٍ في معارج الأخلاق الفاضلة. قال عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وذكر القرآنُ العظيم ثمرة الصيام المتمثِّلة بالتقوىٰ ، فهي التي تحرسُ القلب من إفساد الصوم بالمعصية ، وفي هذا تطهير للروح ، وطاعة لله ، وإيثار لرضاه ، والتزام بالأخلاق. قال عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

كذلك الحج مليء بالمعاني الخُلُقية ، وثمة ارتباط وثيق بين أداء الشعائر التعبدية والأحاسيس القلبية ، والسموّ الخُلُقي؛ في وحدة متناسقة يقودها التقوى؛ زاداً للروح ، وقوة للأخلاق ، وصولاً إلى شاطىء النجاة. قال عز وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومن هنا نلاحظ متانة الأواصر بين الإسلام وعباداته ، وبين موازين الأخلاق ونُظُمها ، فالطاعة تقود إلى مدارج الكمال ، وترفد الحياة بسلوك عملي بنَّاء ، فتنشأ السجايا الكريمة ، والخِصال الحميدة ، ويقوم المجتمع على أساسٍ خيِّر من النفوس المهذَّبة ، والقلوب الزاكية.

إنَّ بناء القيم الخُلُقية ليس كلاماً يُلقى على عواهنه ، لا جدوى منه ، ولا طائل تحته ، بل هو واجبٌ يُلقى على عاتق كل مسلم ، فهو المعيارُ لصدق الالتزام. وليس غريباً أن يشهد الله عز وجل للنبي محمد ﷺ بأعظم

شهادة ، وهي وصفه بأنه ﷺ كان على خُلُق قويم ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وفي القرآن الكريم مواقف كثيرة ، وقصص متعددة ، تدعو إلى تمثُّل الأخلاق في النفس والمجتمع ، وتوجِّه الإنسان إلى حُسْن المعاملة ، وجمال العشرة ، ومواصلة المودَّة ، وضرورة الالتزام بالآداب الاجتماعية ، وحِفْظ حقوق الآخرين.

وسنقف عند نصّ قرآني من سورة الحجرات ، ونبحث في معانيه وإرشاداته.

* **النص القرآني:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١ ـ ١٢].

معاني المفردات والتراكيب[1]:

﴿ قَوۡمٞ﴾: الرجال خاصة.

﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: لا تطعنوا أهل دينكم. واللمز: الطعن باللسان.

﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾: التنابز بالألقاب: التداعي بها. والنبز: لقب السوء.

﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾: الاسم: الذِّكْر ، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم. وحقيقته: ما سما من ذكره ، وارتفع بين الناس ، كأنه قيل: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يُذكر

---

(١) تفسير النسفي ، حققه يوسف بديوي (٣/ ٣٥٣).

بالفسق. وقوله ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ استقباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق؛ الذي يحظره الإيمان.

﴿ٱجْتَنِبُوا۟﴾: يقال: جنّبه الشر؛ إذا أبعده عنه.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: هو ظن السوء بأهل الخير.

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾: الإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾: لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم. يقال: تجسَّس الأمر؛ إذا تطلَّبه وبحث عنه.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: الغيبة: الذكر بالعيب في ظهر الغيب. وفي الحديث: «هو أن تذكر أخاك بما يكره»[1].

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض أخيه على أفحش وجه. قال قتادة: كما تكره إنْ وجدت جيفة مدوِّدة أن تأكل منها، كذلك فاكرهْ لحم أخيك وهو حي.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بترك ما أُمرتُم باجتنابه، والندم على ما وجد منكم منه، فإنكم إن اتَّقيتم تقبَّل اللهُ توبتكم، وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين.

﴿تَوَّابٌ﴾: هو البليغ في قبول التوبة.

معنى الآيات[2]:

تتحدث الآياتُ عن حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، فلا يسخر قوم من قوم بكل كلام وقول وفعل دالّ على تحقير الأخ المسلم؛ فإنَّ ذلك حرام لا يجوز، وهو دالٌّ على إعجاب الساخر بنفسه، وعسىٰ أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، وهو الغالب والواقع؛ فإن السخرية لا تقع إلا

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٨٤) ومسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ لعبد الرحمن السعدي (٥/ ٧٧).

من قلبٍ ممتلىء من مساوىء الأخلاق ، مُتحلٍّ بكل خُلُق ذميم ، مُتحلٍّ من كل خُلُق كريم.

ثم نهى تعالى أن يعيب بعض المؤمنين على بعض ، أو يعير أحدهم أخاه ، ويلقِّبه بلقبٍ يكره أن يُقال فيه. ومَنْ فعل ذلك فقد أعرض عن أوامر الله ونواهيه ، وبدّل إيمانه بالعصيان؛ الذي هو التنابز بالألقاب. ومن لم يتب عن هذا فقد ظلم نفسه.

ونهى الله تعالى عن كثيرٍ من الظن السيىء بالمؤمنين ، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة ، وكظنّ السوء؛ الذي يقترن به كثيرٌ من الأقوال والأفعال المحرَّمة.

ثم خاطب المؤمنين فقال: لا تفتشوا عن عورات المسلمين ، ولا تتبعوها ، ودعوا المسلم على حاله ، واستعملوا التغافل عن زلاَّته ، التي إذا فتّشت ظهر منها ما لا ينبغي.

ونفَّر من الغيبة ، وشبه ذلك بأكل اللحم ميتاً ، وهو مكروه للنفوس غاية الكراهة ، فكما يُكره ذلك ، فلْتُكْرَه غيبةُ المسلم ، وأكل لحمه حياً. وفي هذا تحذير شديد من الغيبة ، وأنها من الكبائر ، ومَنْ تاب تاب الله عليه.

ما ترشد إليه الآيات:

* احترام الإنسان المسلم لأخيه المسلم.
* المناداة بالأسماء المكروهة حرام وغير مرغوب فيه، والله يعاقب عليه.
* الابتعاد عن الغيبة ، والتنفير الشديد منها.
* الثقة بالمسلمين وعدم الظن بهم.
* الظن السيىء يؤدي إلى عقاب الله تعالى.
* التجسس على الناس ، والاستماع إلى أسرارهم عيبٌ نهى اللهُ المسلمين عنه.

* الرجوع والندم والاستغفار عند وقوع الغيبة ، والتوبة من ذلك إلى الله عز وجل.

* الله يُسامح المذنب إذا تاب ، واستغفر ربَّه.

ويستطيع المربي أن يعلِّم الأطفال الأخلاق ، ويغرس فيهم الآداب التهذيبية؛ عن طريق الأسلوب القصصي ، وأسلوب الممارسة والعمل ، كأن يحكي لهم قصة عن التضحية ، كقصة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حين جاءته قافلة تجارية ، وجاءه تُجَّار المدينة يدفعون له ، فكان يقول لهم: زادوني ، فقالوا له: مَنْ زادك ونحن تجار المدينة؟! فقال لهم: زادني الله فأعطاني لكل حسنة عشرة أمثالها ، ثم جعل القافلة في المسلمين دون مقابل. فهذا المثال في التضحية أكثر تأثيراً من سَرْد محاضرةٍ في ضرورة الالتزام بالتضحية.

ويمكن للمربِّي أن يُشْرِكَ المتعلِّمين في مواقف عملية يُعبِّرون من خلالها عن الخُلُق المراد تعليمه وتعزيزه ، كأن يجعل المتعلِّم يشارك اجتماعياً في موضوع التعاون ، كاشتراكه في جمعية المدرسة ، وإعطائه دوراً يتمثَّل من خلاله ذلك السلوك الإيجابي. وهذا الأسلوب أكثر تأثيراً من أسلوب الوعظ والتلقين.

وسيقف المربي في الأسطر التالية على درسٍ في الأخلاق والتهذيب ، موضوعه: برّ الوالدين؛ لتحقيق الأهداف السلوكية التالية[1]:

ـ أن يتبين المتعلِّم معنى برّ الوالدين.

ـ أن يتمثل المتعلِّم برَّ الوالدين في سلوكه.

ـ أن يتفهَّم المتعلِّم أن برَّ الوالدين طريق إلى الجنة.

ـ أن يقدِّر المتعلِّم والديه، وخصوصاً عند الكبر؛ لشدَّة حاجتهما إلى البِرِّ.

---

(١) دليل المعلم للتربية الإسلامية للصف الثالث في الجمهورية العربية السورية (٧٣).

ـ أن يتفهَّم المتعلِّم أن برَّ الوالدين يكون في حياتهما وبعد مماتهما.

التمهيد:

يسردُ المربي على المتعلِّمين القصة التالية:

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أبايعك على الهجرة والجهاد.

قال: «هل مِنْ والديك أحدٌ حيٌّ؟».

قال: نعم، كلاهما.

قال: «فتبتغي الأجرَ من الله تعالى؟».

قال: نعم.

قال: «فارجعْ إلى والديك، وأحسنْ صُحْبتهما»[1].

العرض:

يقول المربي للمتعلِّمين: أترون يا أبنائي مدى عناية الإسلام بالوالدين؟! لقد قدَّم الإسلام برَّ الوالدين على الجهاد.

ثم يسأل المربي: أتدرون كيف يكون برّ الوالدين؟

وتأتيه الإجابات من المتعلِّمين، ويصححها، ويكتب بعضها:

ـ المسلم يحترم والديه.

ـ المسلم يطيع والديه ما لم يأمراه بالمعاصي.

ـ المسلم لا يرفع صوته في أثناء الحديث مع والديه.

ـ المسلم ليِّن الجانب، متواضع لوالديه.

ـ المسلم يُقدِّم الصدقات والأعمال الحسنة، ويهب ثوابها لوالديه بعد وفاتهما.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٦٨) ومسلم (٦/ ٢٥٤٩).

ـ المسلم يُقدِّر والديه عند كبرهما ، فلا يزجرهما إذا فعلا ما لا يُعجبه .

ـ المسلم يحترم ويحبُّ من يحبُّه أبواه .

وإذا فعلتم كلَّ هذه الأمور فإنَّ الله يرضى عنكم ، وتنالون رضا والديكم ، وتفوزون بالجنة .

التقويم :

١ ـ على أيِّ شيء عاهد الرجلُ الرسولَ ﷺ؟

٢ ـ عن أيِّ شيء سأل الرسولُ ﷺ الرجلَ؟

٣ ـ إلى أيِّ شيء وجَّه الرسول الرجلَ؟

٤ ـ على أيِّ شيء قدَّم الإسلامُ بِـرَّ الوالدين في هذا الحديث؟

٥ ـ من يذكر بعض واجبات الأبناء نحو آبائهم؟

٧ ـ ما واجبك نحو أبويك بعد وفاتهما؟

* * *